

حريف القرآن أُسطورة أم واقع؟

يقول الراغب الأصفهاني: «تحريف الشيء: إمالته، كتحريف القلم، وتحريف الكلام: أن تجعله على حرف من الاحتمال، يمكن حمله على الوجهين» [19]. دراسة مفردة «التحريف» في القرآن 1 - قوله تعالى: (أَفَتَدَّطُمَعُونِ أَنْ يُؤْمِرُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُ فُؤُودَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُواهُ وَهُمْ يُعْلِمُونَ) [20]. التحريف هنا تفسير الكلام بما تهوى إليه الأنفس والميول. وهذا المعنى للتحريف ليس موضع بحثنا؛ لأنَّه المعنى اللغوي له، وليس الاصطلاحي. 2 - قوله تعالى: (مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُ فُؤُودَهُمُ الْقَوْلَ الَّيْمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا...) [21]. وردت هذه الآية في اليهود، وباستثناء العلامة الطباطبائي فإنَّ جلَّ المفسِّرين يقولون فيها: إنَّهم يفسِّرون التوراة والإنجيل على غير وجهها، أي يفسِّرونها بنحو لا ينطبق المعنى على الألفاظ حقيقةً ولا مجازاً، وذلك لأنَّ أنفسهم تميل إلى هذه التفاسير. يقول الزمخشري في ذيل الآية: (يُحَرِّفُ فُؤُودَهُمُ الْقَوْلَ الَّيْمَ عَن مَّوَاضِعِهِ): «يميلونه عنها ويزيلونه» [22]. لكن للعلامة الطباطبائي رأياً آخر هنا، إذ اعتبر التحريف هنا أعمَّ، حيث قال: «وقد وصفنا تعالى هذه الطائفة بتحريف الكلم عن مواضعه، وذلك إمَّا بتغيير مواضع الألفاظ بالتقديم والتأخير، والإسقاط والزيادة، كما ينسب إلى التوراة الموجودة، وإمَّا بتفسير ما ورد عن موسى (عليه السلام) في التوراة وعن سائر الأنبياء بغير ما قصد منه من المعنى الحقَّ، كما أوَّلوا ما ورد في رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بشارات التوراة. ومن قبل أوَّلوا ما ورد في المسيح (عليه السلام) من البشارة وقالوا: إنَّ الموعود لم يَجِء بعد، وهم ينتظرون قدومه إلى اليوم» [23]. 3 - قوله تعالى: (...وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُ فُؤُودَهُمُ الْقَوْلَ الَّيْمَ عَن مَّوَاضِعِهِ...) [24].